كتب الاشاعرة قولهم نطلق الحسن والقبح لئلا نتوهم ان اتفاقنا انما
مستندهم كلام اسلافهم حجة على خصمهم في انه يقول القول مع انه يتبرا منه
وهو مثل ما يقال في الخصومات شهد عليك من هو اعدل منك وقول من اقوس
انه من لو يفتح على نفوسنا هذا لما اذعن احد كما حكاه السيوطي في رسالة
صنعها بحكايات قال لئلا يتكرم مع تطاول الزمان مع انها محققة
عنده لقرب عصره او معاصرته له والذي اظن ان الاشاعرة وضعت
هذا الاصطلاح لئلا يتعطل معنى الاحسان والاساءة لغة لانها من
الفاظ العرب وقد نفوا عنهما المعنى وهذا لا ينفعهم مع اعترافهم ان تلك
المعاني ليست بلغوية ولكنه يكسر في صورة الاستهجان باثبات
اللاغية على اللغة لاشهر لفظين منها في اشهر معنيين في مثل قولهم ما
احسن ما فعل فلان وما اقبح فعله مع فلان اذ معناه الاحسان والاساءة
قطعا لا تلك المعاني التي تذكر الاشاعرة ستر الهذه العورة ولهذا
نظاير في كثير ممن اوقعته زلته في لازم شنيع فتنبه لذلك تقف عليه
نعم هاهنا ما ينبغي صرف النظر اليه وهو اعتراف الاشاعرة
والاتفاق منهم من ساير الناس ان التحسين والتقبيح بمعنى الكمال
والنقص ثابت في نفس الامر وهذا يكاد يلحق الخلاف بالوفاق فان
الخلاف يستتبع الرفع من شان من اتصف به والنقص يستتبع الوضع
من شان من اتصف به فلا شك ان من الرفع المدح للمتصف بالكمال ومن
الوضع الذم للمتصف بالنقص بل اطلاق الكمال والنقص مدح وذم فقولنا
كامل لا يمدح وناقص لا يذم مثل قولنا كامل لا كامل وناقص لا ناقص
فيمدح لا يمدح ويذم لا يذم ومعنى الاستتباع انه يناسب العقول وتقبله
ولا تاباه وتعرف بينه وبين نقيضه فترى ذم المحسن مناقضا لا ينبغي
عند العقل وفي نفس الامر ومدح المسيء كذلك كما ان الذم والمدح
متناقضان وهذا هو معنى الاستحقاق ولا يزيد وبالاستحقاق الوجوب
والحتم وما زادوه من قيد الحتم في اي موضع فلموجب اخر لا بالنظر الى هذا
المحل وهذا اصرح في كتبهم وسياتيك ان شا الله تعالى قريبا
زيادة ايضاح لمذهبهم فان انكرت الاشاعرة الاستتباع بهذا المعنى

فقد

٥٧

فقد رجعت عن الاقرار بالكمال والنقص وعطلت معناهما وخلصنا من
مجازة تحقيق مذهبهم فانا تارة ننظر الى هذا فنحكم عليهم
بالوفاق واخرى في تصريحهم بنفي الحكم بابلغ ما يمكنهم من العبارة
فنبين الشقاق هكذا تذكر جماعة من الفريقين كالعضد وابن تاج
الشريعة كاباني وغيرهما وفيه عندي وقفة فانهم انما ينبغوا الوصفين
فيما هو من قبيل الغرايز كالعلم والجهل وكالصدق والكذب اي
كونه شانه الصدق وشانه الكذب واما في مثل صدق وكذب وحصل
العلم وحصل الجهل المركب مثلا فيحتاج كونهم يقولون ذلك الى نقل صحيح
عنهم والممتنع من كلامهم خلافه فيسلمون من المناقضة ويقرون على
الخلاف وانما التبس على الناظر ما كان لمعنى الثبوت وما كان لمعنى
الحدوث فصادف لمعنى في صدق كمال عندهم لا بمعنى حصل الصدق ووجد
وكيف وقد انكروا هذا المعنى الاخير في مطلق الفعل
وفا والمعنى كل انه ذوا كل لا انه فعل كما ياتي تحقيق ذلك وهذا
تحقيق بليغ فات القصد واضرابه من الفريقين والحمد لله على العثور على
الحقيقة واعلم ان هذا محل النزاع بتمامه ثم النزاع هل
ادرك العقل شيا من تلك الامور الثابتة في نفس الامر هل هذه الحقيقة
بعينها مما ادركه نزاع اخر لا ينافي الكلام في النزاع الاول خلافا لا وفاقا
اما انه لا ينافيه مع فرض الاتفاق هناك فظاهر واما مع فرض
استقلال الخلاف فلان الخلاف هناك قد ينتزل هاهنا فتيقظ لهذا
تسلم من الزلات ان شا الله تعالى وقد يتضمن تحرير التحسين
والتقبيح ان الباري تعالى مثبت للحكم فقط اما بالعقل واما بالسمع
والحس الحكم في ثبوته واقفا على اختيار مختار بل هو كسائر الماهيات
المجردة والعجب ممن اقر بهذا ثم شغفه مدح الاسلاف
وايثار الخلق على الحق فقدح في دعاينا وشي عليه لعدم الانصاف ولقد
اغرب في ذلك ابن تاج الشريعة ولم يتمسك
من الانصاف بادنى ذريعة فانه نصر التحسين والتقبيح نصرا موزرا
وسجل على المخالف فعل من استمسك باوثق العرى ومن نصره المحقق

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)